



مجلة

مركز الوثائق والدراسات الإنسانية



في هذا العدد

- * المدينة الخليجية : إشكالياتها
واستراتيجيات المستقبل .
حسن الخياط
- * كتابات الرحالة والمبعوثين
عن منطقة الخليج عبر العصور .
أحمد زكريا الشلق
- * الموارد والتنمية في دول مجلس
التعاون الخليجي .
ناصر عبد الرحمن فخرو
- * الانسياق الرملي في البحرين .
أسماء علي أبا حسين

العدد الحادي عشر السنة الحادية عشر ١٩٩٩م

جامعة قطر

الدوحة ٢٠١٤هـ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾

صدق الله العظيم

الأسس العلمية لإعلام الطفل المسلم

أ. د. محيي الدين عبد العظيم

أستاذ الصحافة والإعلام

جامعة الأزهر - ج. م. ع.

مقدمة

تهدف هذه الدراسة لوضع تصور نظام إسلامي لإعلام الطفل يأخذ في اعتباره الإفادة من معطيات التكنولوجيا المعاصرة ، والتعامل مع متغيرات الحياة الحديثة بذكاء وحذق ، ويقوم في منهجه على قواعد علمية سليمة ، مع التزامه بالشواهد الإسلامية التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويعتمد في ممارساته على الطاقات البشرية المؤمنة والجدادة والقادرة على إستخدام الوسائل والأدوات المناسبة في الوقت المناسب لهذه الشريحة العمرية الخاصة .

هذا ولكل وسيلة اتصال مقدره معينة على الإقناع والإستمالة والجذب ، ذلك أن الامكانيات الفعلية للوسائل الإعلامية تختلف حسب فئات الجمهور المستهدف ، وهو هنا جمهور الأطفال .

وفي الحقيقة أنه إذا تم وضع خطة علمية سليمة ، وتم إعداد برامج وفقرات وموضوعات متكاملة الأبعاد ، ومتناسقة التخطيط ، تستهدف عقل الطفل ووجدانه ، فإن الإستراتيجية الإعلامية هنا سوف تتمكن من بناء طفل سليم العقل ، صحيح البنیان ، مؤمن بربه ، حريص على حقوقه ، متفان في واجباته .

وهذا يتطلب إعادة النظر في كل ما يكتب ويبحث للأطفال لتقييمه ، ومعرفة آثاره وسلبياته لدعم الإيجابيات وتلافي السلبيات ، وإعداد الأعمال الجيدة لتكون قادرة على الإسهام في البناء الفكري والوجداني للطفل المسلم ، لاسيما أننا لانستطيع أن نحول بين الطفل وبين تعرضه للبرامج والفقرات والأعمال الدرامية التي تبثها القنوات المحلية والعالمية بما تحمله من جاذبية وإبهار ، مما يتطلب وضع خطة إعلامية لتحصين هذا الطفل في مواجهة هذا الزخم الإعلامي الكثيف .

الإعلام والطفل المسلم

تركزت الدراسات الإعلامية المعاصرة علي مختلف الشرائح الجماهيرية والفئات العمرية المختلفة .

فهناك من الدراسات ما تناول قضايا المرأة ، ومنها ما تناول قضايا الشباب ، وغيرها من الطوائف والشرائح الجماهيرية المختلفة ، إلا أن نصيب الأطفال من هذه الدراسات كان متواضعاً إلى حد كبير ، إذا ما قارناه بالدراسات الإعلامية لمختلف الفئات الأخرى ، وهو نصيب لا يتفق أبداً مع مكانة الطفل في المجتمع المعاصر ، وحتى بعض الدراسات الصغيرة والفقيرة التي أجريت حول إعلام الطفل المسلم لم تربط بينها وبين الفكر الإسلامي ، ولم تصطبغ بهذه الصبغة ، ولكنها اعتمدت على الدراسات والمعطيات الفكرية العامة .

وقد نجم عن ذلك غياب استراتيجية إسلامية لإعلام الطفل ، فلا نكاد نجد في أي من أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي خطة علمية محددة الملامح ، واضحة المعالم ، للبرامج الإعلامية التي تتناول قضايا الطفولة ، بل أننا نلاحظ أن أجهزة الإعلام كثيراً ما تتخبط في تناولها لهذا الموضوع .

والذين يتحدثون عن إعلام الطفل يرونه محاطاً بمربع مكون من أربعة أضلع ، هي البيت والمجتمع ، والمدرسة ، وأجهزة الإعلام .

وفي الحقيقة : أن أجهزة الإعلام تلقي بظلالها على الطفل المعاصر إيجاباً وسلباً حتى أنه يصعب عليه أن يفلت من أسارها ، فهي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم ، ومن ثم فهي قادرة على الإسهام بفاعلية في تعليم الطفل وتربيته ، وتوجيهه ، ذلك أن الأطفال هم أول من يستجيب لعمليات التعديل القيمي بحكم استعداداتهم النفسية .

النهج الإسلامي لإعلام الطفل

إذا كان الخبراء وعلماء الاتصال قد شحذوا همهم وأعملوا عقولهم لكي يقدموا فلسفة إعلامية تصوغ نشاط أجهزة الإعلام وتحدد لها أهدافها وتوجهاتها ومنطلقاتها .

وإذا كانت جهودهم قد أسفرت عن رؤى معينة ، وأدغمتهم قد أفرزت نماذج تصوغ النشاط الإعلامي ، فإن هذه النماذج جاءت لتعكس الواقع الفكري والأيدولوجيات التي تنطلق منها هذه الرؤى ، وقد طور الباحثون هذه النماذج أو الفلسفات الإعلامية ، فمنهم من صاغها في أربع نظريات ، ومنهم من زادها إلى ست نظريات فأضاف إليها نظرية إعلام التنمية ونظرية المشاركة الديمقراطية كما فعل ماكويل Mc Quail⁽¹⁾ . . . وهكذا .

وفي الحقيقة أن الفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل أيديولوجية هي التي تحدد لوسائل الإعلام وظائفها وأهدافها ومعالجاتها والأدوار المطلوبة منها .

من هنا يصبح من الأهمية بمكان أن يكون للنظام أو للمدرسة الإسلامية في الإعلام منهجاً متميزاً يعكس طبيعة وأهداف هذه المدرسة لاسيما في حقل إعلام الطفل ، ومن أبرز الأسس التي نرى ضرورة أن تقوم عليها هذه المدرسة ما يلي :

أولاً ، الإلتزام بالشوايت في العقيدة الإسلامية ، وتوظيف مختلف الوسائل الإعلامية لزرع هذه الشوايت في عقول الأطفال ووجدانهم ، حتى تكون جزءاً لا يتجزأ من الكيان الفكري لهؤلاء الأطفال ، وهي ثوابت لا تحتتمل اجتهادات أو اختلافات في وجهات النظر كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وما إلى ذلك .

ثانياً ، تربية النشئ على أصول المعاملات الإسلامية لتكون بمثابة عادات تتم ممارستها بشكل تلقائي : كالصدق في القول ، والأمانة في العمل ، والأدب مع الكبار ، والعطف على الصغار ، والحياء ، والشجاعة في الحق ، ومعاودة المريض... الخ.

إن المعاملات الإسلامية تأتي في مقدمة القضايا التي يجب أن تضعها أجهزة الإعلام نصب عينيها في تناولها لقضايا الأطفال ، لأن الذي درج على الصدق في صغره سيكمل حياته صادقاً ، والذي تعلم الكذب أو النفاق في طفولته سيصعب تعديل سلوكه في شبابه وهرمه .

إن بناء الإنسان المسلم السوي يبدأ منذ مولده فيرضع مع لبن أمه القيم والمثل العليا والمفاهيم الإسلامية الصحيحة .

وما قد نراه من تفسخ في كثير من جوانب الحياة أو الشخصيات المسلمة يرجع بالدرجة الأولى إلى التنشئة غير السوية التي أفرزت شخصيات تغلفت بعد كبرها في مواقع القيادة والريادة في العالم الإسلامي ، فكانت معاول هدم ينخر في كيان هذه الأمة ومستقبلها .

إن المصدر الرئيسي لصياغة منهاج إسلامي لإعلام الطفل هو القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ ، ومنهما تتحدد فلسفة إعلام الطفل .

وإذا تتبعنا الأساليب والاتجاهات الإسلامية في تربية الطفولة سنجد أن غرض المسلمين في التربية لم يكن دنيوياً محقاً ، كما لم يكن دينياً صرفاً ، بل كان غرضهم دينياً ودنيوياً معاً ، فقد كانوا يستهدفون إعداد المرء للحياة الدنيا والآخرة ، ولذلك كانوا يرمون إلى تهذيب النفوس ، وتحصيل الفضيلة (٢) ملتزمين في ذلك بقول الحق تبارك

وتعالی فی صورة القصص :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (٣١).

ثالثاً ، إذا كانت وسائل إعلام الطفل لا يجب أن يعلو صوتها صوت الحق الذي أنزله الله لعباده ، ويجب أن تلتزم بكل ما جاء به في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه المصطفى ، فإن هذه المدرسة الإعلامية في الإسلام ليست فلسفة ثيوقراطية لأن النظام الإسلامي ما هو إلا نظام إنساني ، يقع فيه الخطأ والصواب ويتاح فيه للناس أن يعرفوا منه وأن ينكروا عليه ، كما لا يحرم الجماهير من حق القول والنقد والإصلاح ، وبالتالي فإن أجهزة إعلام الطفولة ، لا يجب أن تتحول إلى أجهزة كهنوتية على غرار أجهزة الاتصال التي تعمل في خدمة الفاتيكان والمؤسسات الدينية الكنيسية ، التي تحيط نفسها بهالة من القداسة أو التي تحصر نفسها في دائرة المناسك والشعائر .

وقد فتح الإسلام باب البحث والاجتهاد في الأرض والسماء والهواء والماء لينتفعوا بها في حياتهم ويستخدموها في مقاصد التعمير والإنشاء ، ويشتمل القرآن الكريم على العلوم الكونية والقانونية والعسكرية والسياسية وغيرها مع أنه نزل على رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قط (٣٢) .

والمنهج العلمي التجريبي هو الذي استمد منه ابن الهيثم نظرية الضوء كما استخدم ابن خلدون مفاهيمه في بناء المجتمعات ونموها وسقوطها ، وهو الذي هدى الخليل ابن أحمد إلى قوانين الموسيقى والشعر واللغة .

وقد فرض الإسلام التطور على أهله فرضاً وذلك ، بالحض على العلم وتوجيه غايته توجيهاً خاصاً ، لأن الشخصية الإنسانية لا يقومها ولا يرقبها شيء غير العلم ، وفي ذلك

يقول الله عز وجل :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾^(١).

وأطفال المسلمين أخرى وأحق بأن تزودهم وسائل الإعلام بكل جديد في دنيا العلم وعالم التكنولوجيا حتى يشكل جزءاً من كيانهم الفكري ويشبوا وهم مدركون مسئوليتهم العلمية شأنهم في ذلك شأن آباؤهم الذين أثروا العالم بعطائهم تأكيداً لما قاله جوستاف لوبون:

«أنا لا نرى أمة في التاريخ ذات تأثير علمي ولغوي وديني بارز مثل أمة العرب»^(٢).

عناصر عملية إعلام الطفل في المنظور الإسلامي

إذا كان الخبراء والباحثون قد حددوا السمات المميزة لكل واحد من العناصر التي تشكل عملية الاتصال لكي يكون كل عنصر في القالب الذي يترجم الواقع الاجتماعي والفكري الذي تعمل من خلاله هذه العناصر .

فإن للإسلام منظوره الخاص فيما يجب أن يكون عليه كل عنصر من هذه العناصر وذلك على النحو التالي :

أولاً : القائم بإعلام الطفل

يقول تشارلز براون Charles Brown أن اختيار العاملين في حقل الإعلام يجب أن يتم على أسس سليمة ، كما يجب أن لا يخوضوا هذا المجال إلا بعد اجتيازهم عدة

اختبارات عملية وعلمية وشخصية ، كما أنه لابد أن تمضى عليهم فترة اختبار للتحقق من صلاحياتهم لهذا العمل الخطر^(٧) .

وإذا كان القائم بالاتصال يتوقف عليه نجاح الخطة الإعلامية أو فشلها ، فإن المنظمات المعنية بذلك تتوقف كثيراً قبل أن تسلم أجهزتها الإعلامية لعناصر تنقصها الخبرة والعلم والذكاء والفطنة والمرونة وسعة الأفق والملكة الفطرية والثقافة الواسعة والسيطرة على التكنولوجيا المعاصرة .

فإن اختيار الكوادر الصالحة لإعلام الطفل المسلم يجب أن تلقي مزيداً من الإهتمام والتحصيص ، لأن هذا اللون من العناصر البشرية في حاجة إلى مهارات خاصة ، وملكات متميزة ، وثقافية نوعية تمكنهم من مخاطبة هذه الشريحة العمرية عبر الوسائل المطبوعة أو المسموعة أو المرئية . إذ لابد لمن يتصدى لإعلام الطفل المسلم أن تتوافر لديه مهارات وأخلاقيات إضافية ، فإلى جانب فهمه ومعرفته بأصول الدين ، لابد أن يتسم بالخلق الرفيع ، والسلوك النموذجي ، والإيمان الكامل برسالته والصدق في القول ، لأن الأطفال تنظر إلى هؤلاء باعتبارهم نماذج حية لما يقولون أو يكتبون ويتأثرون بسلوكهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة .

وإنه على الرغم من أهمية إعداد عناصر صالحة لإعلام الطفل المسلم ، إلا أن تأهيل هذه النوعية من الكوادر البشرية لا تكاد تلقى الإهتمام والرعاية الكافية من المعاهد العلمية والمؤسسات الإعلامية المختصة بتأهيل الإعلاميين ، وباستعراض مناهج الدراسة في هذه المعاهد والمؤسسات نكاد نجدها خالية من برامج علمية وعملية لإعلام الطفل بصفة عامة ، ناهيك عن الطفل المسلم بصفة خاصة ، وينعكس هذا بدوره على البرامج وال فقرات والموضوعات التي تقدم في الراديو أو في التلفزيون أو الصحف ، فكثير منها لا يكاد

يلبي احتياجات الطفل العقلية أو الوجدانية أو النفسية ، وقد لا يجد الأطفال فيها ما يحقق رغباتهم ويحقق طموحاتهم .

ثانياً : إن الرسالة الإعلامية التي توجه إلى الطفل في المنظور الإسلامي ، لا تقتصر على مسائل العبادات والشعائر والمناسك الإسلامية فقط ، كطريقة الصلاة ، وأصول الصيام ، ومبطلات الحج ... الخ .

إنها رسالة شاملة تتناول قضايا الطفل المختلفة وذلك انطلاقاً من النظرة الشمولية للرسالة الإسلامية التي جاءت شاملة لكل ما يهم الإنسان المسلم ، ويأتي ذلك مصداقاً لقول الحق جل وعلا :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ﴾ (٨) .

وهي رسالة تقوم على الكلمة الطيبة ، والحكمة البالغة ، فلا تسيء لأحد ، ولا تحمل معاني العنف أو العدوانية ، وهي تخلو من السب أو القذف أو النميمة أو الغيبة .

وهي تتسم بالوضوح في اللفظ ، والبساطة في العرض ، واليسر في الفهم ، لكي تتسجم مع مستوى تفكير هذه الشريحة العمرية ، كما أنها تحترم عقل الطفل ، وتمنحه مساحة من الحرية الخلاقة منعاً للجُمود العقلي والتحجر الفكري الذي يظنه البعض جزءاً من التركيبة الفكرية للإعلام الديني ، وهي رسالة تستند إلى اليقين وترفض الظن .

والمهم هنا هو إكساب الطفل المعايير الدينية الصحيحة أثناء عملية التنشئة الاجتماعية ، كالحلال والحرام ، وترد على تساؤلاته العديدة عن الله والملائكة والأنبياء والرسل وغير ذلك من الأسئلة التي تزود الأطفال على أن يتم ذلك بذكاء وحنكة فتغذي عقله وتروي ضمأه (٩) .

وهنا تصبح الرسالة الإعلامية مطالبة بما يلي :

- ١ - التنشئة الدينية السليمة للطفل منذ الطفولة المبكرة ، وهنا ننوه إلى مسئولية البيت والوالدين وخصوصاً الأم .
- ٢ - عدم تحميل الأطفال ما لا طاقة لهم به من خلال الاعتدال في التربية الدينية ، والابتعاد قدر الإمكان عن القضايا الجدلية والغيبية والمسائل الخلافية في هذه المرحلة من العمر .
- ٣ - الإجابة السليمة الراحية عن تساؤلات الأطفال الدينية ، بما يتناسب مع مستوى إدراكهم .
- ٤ - تنمية بذور الإيمان في نفوس الأطفال ، حتى يشبوا مؤمنين ومخلصين ، ومستقيمين في سلوكهم .
- ٥ - التعامل بحذر وقدر مع برامج العنف والجنس والجريمة ، وتوجيه الأطفال لما فيها من مخاطر وسلبيات .

خاتماً ، الوسيلة الإعلامية

إن وسيلة الاتصال الصالحة لإعلام الطفل المسلم لا تقتصر بالضرورة على القنوات والمنابر الدينية البحتة ، كالمجلات والاذاعات الدينية المتخصصة ، أو دروس الوعظ والإرشاد وما إلى ذلك .

ولكن وسائل الاتصال بصفة عامة يمكن أن تضطلع بدورها في هذا الصدد كالصحافة العامة وبرامج الراديو والتلفزيون ، وذلك بصورة غير مباشرة ، ذلك أن وسائل الاتصال

العامة التي تدخل البيوت وغرف النوم يجب أن تأخذ في اعتبارها أن هذه المنازل تضم أطفالاً يتابعون المسلسلات والأفلام والاعلانات ويتأثرون بها .

وبهذا نرى أن إعلام الطفل يمكن أن تحمله وسائل إسلامية متخصصة كمجلة المسلم الصغير على سبيل المثال ، ويمكن أن تحمله وسائل إعلامية عامة خاصة بالأطفال مثل مجلتي مشاعل وسمير وميكي وأسامة وغيرها ، ويمكن أن تحمله وسائل الاتصال العامة وكل واحدة من هذه الوسائل يجب أن تراعي جمهورها وتعالج قضايا الأطفال بمهارة وفطنة، ومعرفة دقيقة بظروفهم وقدراتهم ، لاسيما وقد حققت وسائل الاتصال الحديثة درجة في الجذب والإستمالة والإبهار حتى أنه أصبح من الصعب الفصل بين الوسيلة والرسالة حتى ذهب أحد العلماء بأنهما أصبحا شيئاً واحداً^(١٠) .

رابعاً ، المتلقي

والمتلقي الطفل هنا يختلف في سيكولوجيته وفي مستوى تفكيره وفي البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، بل وفي عقيدته ، فقد يكون طفلاً في مرحلة الطفولة المبكرة أو الطفولة الوسطى ، أو الطفولة المتأخرة ، ولكل مستوى درجة معينة من الفهم والإدراك وحاجات بيولوجية وسيكولوجية معينة .

وقد يكون من الأطفال الأثرياء الذين يعيشون في أسر ثرية ، وقد يكون من الفقراء أو المعدمين .

وقد يكون من الأطفال الذين نبتوا في أسر متدينة أو غير ذلك من التي لا تحفل بأمور الدين .

بل من المحتمل أن يتلقى الرسالة الإعلامية الخاصة بالطفولة طفل مسلم ، وآخر غير مسلم ، وعلى الرسالة الإعلامية الإسلامية أن تراعى كل هذه الظروف والمتغيرات .

إن الهدف النهائي من عملية إعلام الطفل هو زرع القيم والمفاهيم الإسلامية في عقول هؤلاء الأطفال فيقبلون على ما يوافق عقيدتهم ، ويرفضون ما دون ذلك ، ويستطيعون التمييز بين الخير والشر ، والهدى والضلال .

والحل يكمن في تحصين هؤلاء الأطفال دون حرمانهم ، بمعنى تزويدهم بالمعايير التي من خلالها يتم الحكم على ما يسمعون أو يشاهدونه ، فيستطيعون التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال ، ذلك أن الطفل المسلم المعاصر يواجه بالعديد من القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية ، التي قد تقدم له أعمالاً غير مقبولة أو مشاهد مخلة لا تتفق مع طبيعته ومكونات فكره وعقيدته ، وهذه قضية دقيقة يجب أن نتعرف عليها ، إذ كيف نحقق للطفل المسلم حق المعرفة والاتصال ، ونتيح له روافد الفكر العالمي ليعرف ما يهمه منها ، وفي نفس الوقت نحقق له الحماية من آثار ما يراه أو يسمعه من أعمال لا تقرها عقيدته ولا يسمع بها دينه ، لاسيما أن طبيعة الطفل ستجعل الحيلولة بينه وبين مشاهدة ما هو متاح أمامه يزيد عناءاً وشوقاً لرؤية هذا الذي حرم منه ، وهذا يتطلب ضرورة تضافر كافة الجهود لزرع الاتجاهات السليمة والتي تنبثق من ينبوع الأصول الإسلامية الصحيحة ذلك لأن وجود هذه الاتجاهات السليمة لدى الطفل تجعله يقبل أو يرفض أو ينتقي ما يسمعه أو يشاهده أو يقرأه ، لأن تأثيرها عليه سوف يكون كبيراً إذا تغاضينا عن بناء هذه الاتجاهات الإسلامية لدى الأطفال بصورة صحيحة .

العالم الرئيسية لإعلام الطفل

إذا كان الطفل المسلم يتفق مع نظيره غير المسلم في الجوانب الخلقية المختلفة ، إلا أنه يختلف معه في البنية الفكرية ، وبالتالي فإن الأسس التي يقوم عليها إعلام الطفل المسلم لابد أن تأخذ في اعتبارها الأمور التالية :

أولاً . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا بد أن تعمل أجهزة الإعلام على أن تزرع في كيان الطفل منذ البداية فريضة هامة من الفرائض الإسلامية ، وهي فريضة التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيعرف دوره ومكانه نحو هذا الواجب الذي تلزمه به عقيدته ، وذلك مصادقاً لقوله عز وجل :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (١٠) .

ومن هنا وجب تربية أبناء المسلمين على هذا النهج ليكونوا دعاة لله مجاهدين بالكلمة الطيبة ، دون إكراه أو عنف أو عدوانية ، أو تطرف أو تقاعس ، وليكونوا بحق أبناء لخير أمة أخرجت للناس ، سائرين على منهج رسولهم الكريم الذي قال الحق جل وعلا على لسانه :

(قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله تعالى على بصيرة أنا ومن اتبعني) (١١) .

ثانياً . زرع الأمل والترغيب في الإيمان مع التخفيف من الترهيب

إن الطفل المسلم يجب أن يزود بالجرعة الإعلامية التي تناسب جهاز استقباله البشري الضعيف ، من خلاله اعطائه الأمل في الحياة والجزاء نظير الإيمان والعمل والصبر والطاعة في غير معصية ، والحب في الله ، والتواضع ، والحياء ، ومراعاة حقوق الغير والشجاعة ، والصدق ، والحلم .

ذلك أن الترهيب الذي قد يسمح به للكبار ، ربما يصيب الصغار بحالة من الرعب ، والفرع ، والإحباط ، واليأس .

وبالتالي فلا بد من الابتعاد عن صور الرعب التي تقدمها بعض الأعمال الدرامية كالعنف ، وسفك الدماء ، والقتال بالسيف ، وما إلى ذلك مما لا يحتمله الطفل ، فإذا كان هذا الأسلوب قد لا يصلح مع الكبار في كثير من الأحيان فما بالك بالأطفال ، يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم :

﴿ فبم رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (١٢)

ثالثاً ، تقديم المثل والقُدوة

إن إعلام الطفل المسلم يمكن أن يحقق أهدافه من خلال القُدوة ، وما أكثر الأمثلة والنماذج الرائعة التي يمكن تقديمها للطفل المسلم في التاريخ الإسلامي ، فالرسول الذي لا ينطق عن الهوى ، ورقة أبي بكر ، وعدل عمر ، وبذل عثمان ، وفدائية علي ، وبطولة خالد ، وزهد عمر بن عبد العزيز ، وكفاح صلاح الدين ، إلى غير ذلك من النماذج الإسلامية في الطب والفلسفة والرياضيات وغير ذلك من النماذج الجديرة بالاعتداء والفخر من جانب الأطفال المسلمين شريطة أن تقدم بصورة مشوقة وجذابة في قوالب إعلامية فنية تحقق استمالية الأطفال .

يقول هاملتون جيب في النبي القُدوة :

« أنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسول ﷺ على مواقف المسلمين والتي تلقي كل التبجيل ، هي عبارة عن شعور تلقائي وطبيعي لا يمكن تحاشيه ، سواء كان ذلك في عهد الرسول أو من بعده ، لقد كان ذلك أكثر من مجرد إعجاب ، ويكفي أن نذكر أن علاقة الحب والإعجاب التي غرسها الرسول في قلوب أصحابه قد انبعث أثرها ومداها عبر القرون ، ويتم اثارتها في قلب كل جيل » (١٣) .

وهكذا نرى أن القدوة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل ، لاسيما أن معرفة الأطفال للدين لا تكون عن طريق التلقين والشرح والإفاضة والتكرار بحسب ، فقد ينصرف الصغار وحتى الكبار عن هذا الأسلوب^(١٤) .

وابعاً ، البساطة والوضوح في مخاطبة الطفل

يقول رسول الله ﷺ :

« أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » .

ومن هنا تأتي أهمية مخاطبة ملكات هذه الشريحة العمرية برفق ولين ، لاسيما أن هذا الذين يخاطب فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، ويربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس^(١٥) .

وقد صدق المستشرق الانجليزي توماس آرنولد حين قال :

« أن فهم العقيدة الإسلامية لا يحتاج إلى مقدرة عقلية خاصة وملكات ذهنية كبيرة^(١٦) . فهذه العقيدة تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية لأنها خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية^(١٧) .

ويمكن تبسيط وتقريب المضمون الديني للأطفال بوسائل فنية جاذبة .

وقد أكدت دراسة أجرتها الدكتورة/ انشراح الشال اهتمام الطفل بالصورة الالكترونية والمتحركة ، وأكدت على ضرورة الاهتمام بالرسوم المتحركة ذات المضمون القيمي للتلفزيون والفيديو والتي يتم استقاؤها من التراث والواقع الإسلامي ، وكذلك أغاني

الأطفال والأغاني العامة ، لأن الطفل لا يشاهد البرامج الموجهة إليه فقط ولكن تبين من هذه الدراسة أنه أكبر مستهلك لبرامج التلفزيون بصفة عامة مما يحتم علينا مراعاة كل ما يبيث من خلال الشاشة الصغيرة ^(١٨) .

ويمكن أن يقدم هذا المضمون من خلال الأعمال الدرامية ، وكثيراً ما استخدم الرسول ﷺ القصة لتهديب النفوس ، والقرآن ملئ بالقصص ذات العبرة ، فإذا تتبع الطفل المسلم نتيجة أحداث القصة انطبعت نفسه بتعاليمها ، وتحكي بصفات أبطالها ^(١٩) ، وكذلك أسلوب القصص غير القرآنية عن القصص القرآنية في أن الثانية ما هي إلا جزء من كتاب الله حملها الوحي إلى رسول الله ﷺ ، في حين أن الأولى تعتمد على الترغيب والترهيب ^(٢٠) .

مكانة اللغة في إعلام الطفل

اللغة هي أهم أدوات التعبير والتفاهم بين الإنسان ، وهي نتاج لثقافة معينة ، وتشتمل على الكلمات والتعبيرات التي تسمى الأشياء ، وتصف الأفكار والعلاقات والقيم .

وقد اختص الله بها الإنسان بين سائر الفصائل الحيوانية الأخرى ، لأنه يتميز بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة ، كمركز إصدار الألفاظ ومركز حفظ الكلمات المسموعة ^(٢١) .

وتلعب اللغة المشتركة دوراً بارزاً في حياة الجماهير لأنها السبيل لفهم الأشياء المحيطة بهم ، والطريق لربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض ^(٢٢) .

وإذا كنا نتحدث عن إعلام الطفل المسلم ، فإن اللغة العربية يجب أن تحتل مكان الصدارة في اهتمامات وسائل الإعلام العربية ، فهذه الوسائل تتحمل المسؤولية الأوفى في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال أو العكس .

ويكفي العربية فضلاً أنها ملازمة لدين الله وأن الحق جل وعلا قد حفظها بكتابه الكريم ، وكانت لسان نبيه المصطفى ، وأن الثقافة الإسلامية في صميمها ثقافة عربية بلسان رسولها الكريم ، عربية بلسان من استقبلوا دعوتها وحكموا بشريعتها ، عربية بالوطن العربي الذي طلعت فيه شمسها ، وتجلت فيه آياتها ، فإذا كانت وسائل الإعلام معنية بزرع المفاهيم والقيم الإسلامية في نفوس الأطفال ، فعليها أن تعلمهم وتدرهم على استخدام لغة القرآن الذي لا يمكن تذوقه واكتشاف كنوزه إلا من خلال العربية ، وفي ذلك يقول الحق جل وعلا :

﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون ﴾^(٢٣) .

وقد أدى الابتذال واستخدام بعض الألفاظ والكلمات الهابطة التي تتردد على السنة المثليين وغيرهم في وسائل الإعلام ، وعدم الحفاظ على الحد الأدنى من الأصول والقواعد اللغوية إلى تأثير الأطفال بما يسمعون ويشاهدون ، وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة بينهم^(٢٤) .

الترويج وإعلام الطفل المسلم

إذا كانت الدراسات النفسية تعتبر الترويج مطلباً إنسانياً فإن الإسلام ينظر إليه نظرة واقعية ويهتم به ويضعه في إطاره الصحيح ، وإذا كان ضرورة من ضرورات الحياة للكبار فإن ضرورته للصغار أهم وأقوى .

ولم ينه الإسلام إلا عن الألوان الضارة من الترويج ، محققاً بذلك التوازن والملاءمة بين احتياجات الأطفال ومطالبهم ، فقد أباح كل ما خلا من الفحش والفساد واشتمل على الفضائل ومكارم الأخلاق ، أي أن الإسلام لا يعارض الترويج بل يدعو إليه ، وبعده أحياناً مما يتقرب به العبد إلى ربه ، يؤكد ذلك ما قاله الرسول ﷺ :

« إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على النفس » .

من أجل ذلك حرص الإسلام على الترويج ، وكره الغلو في الطاعات ، ومن هنا يصبح من المهم في برامج الأطفال استبعاد الشخصيات العابثة ، والمناظر المتجهممة والموضوعات المملة مع تقديم المواد الدينية بصورة جذابة تشد انتباه الأطفال ، وتشير أعجابهم ، وفي نفس الوقت عدم السخرية من الرموز التي يقتدى بها الأطفال كمعلم اللغة العربية وعالم الدين وما إلى ذلك ، لأن الترويج في الحقيقة سلاح ذو حدين ، فهو يصلح ويفسد ، لذا يجب أن يتم بحذر وقدر ، حتى لا يصبح عبثاً وعبثاً ولهواً عن جذبات الحياة ، وحتى لا يتحول إلى مخدر بلهي الأطفال عن الأمور الهامة في حياتهم .

وبهذا تستطيع برامج الأطفال أن تسهم في استثمار الوقت بما يعود عليهم بالمنفعة ويطرح عن نفوسهم ما يعلق بها من أثقال وأدران .

والتلفزيون بصفة خاصة يتصدر وسائل الإعلام الأخرى في هذا الصدد حتى أصبح العصر الذي نعيش فيه يسمى بعصر التلفزيون Children of Television ، الأطفال أنفسهم يطلقون عليهم أطفال التلفزيون ، وساعدت الأقمار الصناعية على تحقيق هذه الطفرة التلفزيونية مما كان له أبعاد الأثر في تحقيق الجاذبية والمتعة للمشاهدين^(٢٥) .

مكتبة الطفل

تشتمل مكتبة الطفل مدلولاً أشمل من أنها مجموعة من الكتب ، يتم تنظيمها بشكل معين ، ولكنها وجدت لكي تدعو من لا يقرأ لكي يقبل على القراءة بهدف الارتفاع بمستوى مدارك هؤلاء الأطفال ، وتمكينهم من الحكم على الأمور حكماً سليماً^(٢٦) .

ومن هذا المنطلق ، فإن مكتبة الطفل المسلم لا تكتفي بمجرد الإمداد ، وإنما أصبح الانجاز الكامل لرسالتها يتمثل في دورها الإعلامي حين تدعو الطفل لكي يقبل على القراءة ، وترشده إلى كيفية القراءة .

وتعتبر المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي لعبت دوراً كبيراً في نشر المعرفة بين المسلمين^(٢٧) .

ويمكن تعميم مكتبة الطفل في المنزل ، والمسجد ، ودار الحضانة ، والمدرسة والحدائق العامة ، على أن لا يكتفي فيها بالمواد المطبوعة التقليدية ، ولكن لابد من تزويدها بالمواد السمعية والبصرية ، وغير ذلك من المعطيات العصرية وهذا يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الإعلاميين والتربويين والمتخصصين في علوم المعلومات والمكتبات .

ذلك أن هذا التعاون لا يزال في مستوياته الدنيا رغم جهود التنسيق وصيغ التعاون القائمة على المستوى الوطني في عدد من الدول العربية ، خاصة أن كل من هيئات الإذاعة والتليفزيون وهيئات التربية في العالم الإسلامي لا تزال خدمات حكومية^(٢٨) .

وأخيراً فلعلنا نمثل قول الحق تبارك وتعالى في سورة النمل :

﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(٢٩) .

المراجع

- McQuail, Denis : Mass Communication Theory. An Introduction. (١)
London Nenhury Park. 1987. pp. 111-123 .
- (٢) عواطف إبراهيم حمد : الإحساس الديني عند الأطفال . القاهرة . مكتبة المعارف الدينية ، ص ٣ .
- (٣) سورة القصص . آية (٧٧) .
- (٤) أبو بكر جار الجزائري : منهاج المسلم ، القاهرة ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، ١٩٦٤م ، ص ٣٢٠ .
- (٥) سورة المجادلة . آية (١١) .
- (٦) عفيف عبد الفتاح طيارة : روح الدين الإسلامي ، ط ٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧م ، ص ٢٧٨ .
- Brown Charles : Informing the People. New York. Pennsylvania (٧)
State University. 1957. p. 22.
- (٨) سورة النحل . آية (٨٩) .
- (٩) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمط ٤ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦٣ .
- Macluhan, Marshal: The Medium is the Message. second Ed., (١٠)
Benguin Books. P. 28 .
- (١١) سورة التوبة . آية (٤٥) .
- (١٢) سورة يوسف . آية (١٠٨) .
- (١٣) سورة آل عمران . آية (١٥٩) .
- Gib, AR. Hamiton : Studies on Civilization of Islam. R. Pouik (١٤)
Routledge and kegan Paul Limited. 1962 .
- (١٥) عبد الثواب يوسف : الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال ، القاهرة ، مؤسسة إقرأ الخيرية ، ١٩٩٢م ، ص ١٠ .

- (١٦) محيي الدين عبد الحلیم : الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي ، القاهرة ، دارس الفكر العربي ، ١٩٨٩م ، ص ٤٠ .
- (١٧) ارنولد توماس : الدعوة الإسلامية إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧١م ، ص ٢٥٤ .
- (١٨) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٤ ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣م ، ص ٢١٦ .
- (١٩) انشراح الشال : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والالكترونية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م ، ص ١٩٦ .
- (٢٠) عواطف إبراهيم محمد : الإحساس الديني عند الأطفال ، القاهرة ، مكتبة المعارف الحديثة ، د.ت ، ص ٢١ .
- (٢١) عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧١م ، ص ٧٧ .
- (٢٢) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ط ٥ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢م ، ص ٨٧ .
- (٢٣) عبد العزيز شرف : اللغة الإعلامية ، القاهرة ، المركز الثقافي الجامعي ، ١٩٨٠م ، ص ١٤ .
- (٢٤) سورة فصلت ، آية (٣) .
- (٢٥) محيي الدين عبد الحلیم وحسن الفقي : العربية في الإعلام ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٨٨م ، ص ٣٨ .
- (٢٦) سعد لبيب : الدور التثقيفي للإذاعة والتليفزيون ، قطر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٣م ، ص ٥ .
- (٢٧) أحمد أنور عمر : المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص ٣ .
- (٢٨) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، نشأتها وتطورها ومصدرها ، دمشق ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ١٩٧٠م ، ص ٨٣ .
- (٢٩) حمدي قنديل : التكنولوجيا الاتصالية وأثرها على التربية ، القاهرة ، اللجنة الوطنية المصرية للبيونسكو ، ١٩٦٣م ، ص ١٧ .
- (٣٠) سورة النحل ، آية (١٢٥) .